من الشواهد ما يُفحم كلّ معاند. وكفى لتزكية الرهبانيّة اليسوعيّة انّ البابا بيوس السابع لم يجد دواء انجع من إحيائها لمحاربة الكفر والماسونيّة ولتهذيب الناشئة

﴿ ص ٤٦٠ ﴾ ينسب حضرتهُ الارساليّات الكاثوليكيّة الى مطامع البابويّة كأنهُ لم يقرأ في الانجيل ما قالهُ الربّ لتلاميذهِ وخصوصاً لرئيس كنيستهِ: «اذهبوا الى العالم اجمع وعلّموهم ما اوصيتكم بهِ» وهي مهنةٌ لم تزل الكنيسة تقوم بها منذ تسعة عشر قرناً فكيف يخطّأها لقيامها بأمر المسيح ؟

نضع هنا حدًّا لانتقاداتنا وكان بوسعنا ان نزيد عليها كثيرًا الّا انّ في ما سبق ادلّةً كافية على ما قلنا في اوّل هذا الانتقاد انّ حضرة المؤلف غطّ قلمهُ بمداد من الافتراء واستقى موادّ كتابهِ من موارد عكرة ليس كما قال من ثقات المؤرّخين النزهاء.

هذا ولا ننكر ان بين فصول الكتاب قطعاً مفيدة كتراجم بعض الآباء الشرقيّين والغربيّين وتعريف الطوائف الشرقيّة الّا انّ هذا القليل الحسن لا يشفع بالكثير الباطل والسلام

الحكمة العيسوية

من نظم الشاعر المُجيد قبلان افندي الرياشي

ارسل جناب الناظم قصيدتهُ هذه الى مجلّة المشرق فاستحسنّاها وانّما اضطرّنا ضيق المكان الى اختيار قسم منها فقط

طال الوقوفُ على الاطلال في العَلَمِ ... ماذا التأمّلُ في الآثار والرَّسمِ
أقوَتْ عراصٌ قد استوحشتْ وطائرها ... وتلك من وحشةٍ محجوبةُ النَّسَمِ
لولا التنفّسُ عن حَرّ الزفير لَمَا ... هبَّ الهواء على صالٍ من الضَّرَمِ
أو التبرُّدُ بالذكرى لَذبتُ جوًى ... قبل التبرّدِ من سَلسالها الشَّبِمِ
يا جيرةَ الحيّ ارعاها وارقبها ... في بيتَ لحمَ وما عهدي بمنحرمِ
كم لي على الطُّور او صنّاء جُلجلةٍ ... دمعٌ يروّي ثرى البستان كالغَنَمِ

الى ان قال :

انَّ الشريعة ردعُ النفس عن زللٍ ... ليس الشريعة ما تمشَتْ من كلِمِ
والدين ما عزَّ بالاحسان جانبهُ ... لا بازديارك بيت القدس والحرَمِ
يا روح ربي ألَا قدَّستَ بينهمُ ... روحاً دعوتَ اليها سائرَ الأُممِ
لبستَ جسماً من العذراء كان لهم ... رسماً وروحُك بالعينين لم تُشَمِ
قال الكتاب وقال الانبياء به ... والوحيُ لولاهُ منذ البدء لم يَقُمِ
وجاء عن بنت داوودٍ مقالُهمُ ... شَفعاً وما نسلُ داودٍ بذي عقَمِ
هذي حمامة روح الله طاهرةً ... بل تلك تابوت عهد الله عن أَمَمِ
عرشٌ عليه استوى الفادي فقدَّسهُ ... وهو المليكُ بلا جندٍ ولا حَشَمِ
قد كان في الغار لا في القصر مَوْلِدهُ ... فاين في القصر ما في الغار من عِظَمِ
خرَّ المجوسُ لهُ طفلًا وسبَّحهُ ... رهطُ الرعاة ونادتهُ السما بفَمِ
كأنَّ لا مجدَ الَّا يومَ مولدهِ ... ولا سلامَ سوى من روحه بهمِ
عهدي بذي الملك طفلًا لم تذلَّ لهُ ... هامٌ ولا أمَّهُ ساعٍ على قدَمِ
فكان اكبرَ من طفلٍ واعظمَ من ... مولود ذاتٍ تقًى بالوزْر لم تُصَمِ
هدى الى غارهِ نجمُ السما وهوى ... نجمُ المنجِّم بالآمال والحُلُمِ
ما نالهُ كفُّ هيرودو ولا سَلِمَتْ ... في بيت لحمَ أطفالٌ من النِّقَمِ
أسرى بهِ الليلَ أمٌّ برَّةٌ وأبٌ ... من بعد رؤيا ملاك الله لم ينمِ
ضجَّ السرير لهُ واهتزَّ جانبهُ ... فعالجوهُ بترويعٍ وسفك دمِ
فالملكُ في أرَقٍ والعرش في قلقٍ ... والطفل في مِصرَ لم يُدرَكْ ولم يُرَمِ
في الشرق في الغرب عنهُ نبأةٌ سُمِعَتْ ... في الروم في الفرس في الأعراب في العَجَمِ
الناصريُّ الذي ما بالإلهِ بهِ ... في الحقِّ اشهرُ من نارٍ على علَمِ
لله منه صبيًّا وهو منتصبٌ ... في هيكل الله يُلقي ابلغ الحكمِ
ليس ابنَ يوسفَ والعذراء عندهمُ ... مَنْ نال من كلِّ علمٍ اعظمَ القِمَمِ
كم قام من قبل عيسى فيهمِ رسلٌ ... وانبياء لهُ كانوا من الخدَمِ
وجاء بالسنَّة الغرّاء في حُجَجٍ ... ومعجزاتٍ لها الآيات كالرَّقَمِ
كم اسمعت آيهُ من كان ذا صَمَمٍ ... وأنطقت روحهُ من كان ذا بَكَمِ

وكم رأى نورَهُ الاعمى فسبّحهُ ... وهبَّ حينَ دعاهُ دارسُ الرمم
قد جلَّ عن قولِ لو وصفاً فكان بهِ ... كمالُ اهل السما والارض كلّهم
هو الوحيدُ دعي بابن الاله إلاَ ... في ذاته من علوّ النفس والشّمم
جاء الختانُ ختامَ العهد فيهِ كما ... جاء العمادُ بهِ بَدْءا المختتم
في الماء من طُهرهِ طهرٌ يقدّسهُ ... وفي النسيماتِ طيبُ الخلقِ والشيَم
كم ميّزتْ شعبَهُ بين الورى سِمَةٌ ... دلّت على لائذٍ بالله معتصم
بالماء والروح نال الشعب صبغتهُ ... وآخرٌ نالها ضرباً من الوسَم
لم يأتهم قارعاً للصدر مبتهلاً ... في ساحة البيت او عالٍ من القمَم
ولا اتى آخذاً بالسيف امّتهُ ... مَن سنَّ سنَّتهُ في اللوح بالقلم
ولم يقم داعياً بالله معتزلاً ... في بطن يَهْماءَ او في حالق الأُطُم
لكنهُ قد تولّى نافخاً ابداً ... روحاً جديداً فلم يعثر ولم يَهِم
روحٌ لو انَّ الورى في فهمهِ شرَعٌ ... لمّا بصرتَ بشعبٍ فيهِ مقتسم
سما العقولَ سموَّ النفس عن بشر ... علماً وحبِّ العدى عن علم مُحتلم
هذا هو الحبُّ في سرٍّ وفي علنٍ ... حبُّ القريبِ قريبَ الحبّ لا الرحم
ولم يكن قطُّ سفّاحاً لبيعتهِ ... او غاشماً بشِفار المرهفات حمي
بل كان غوث فقيرٍ لا غياث لهُ ... يوماً وغُنيتهُ طيّان وبردُ ظمي
كالشمس جلّت عن التعريف سافرةً ... وعن بيان معاني وجههـا الوَسِم
سرٌّ خفيٌّ كما تخفى الحياة بنا ... ان حارَ في فهمهِ ذو العقل لم يُلَم
هادي الانام وقاديهم ومُنقذهم ... شرقاً وغرباً اتوهُ طَوْعَ مستلم
لولاهُ ما التأمت للخلق جامعةٌ ... ولم يكن امر دنياهم بمنتظم
ولا استقام لمؤتمٍّ بهِ سَنَنٌ ... من غير ما عملٍ في قولك استقم
لولاهُ لانْحطَّ شأن المرء منهزماً ... في إثر منهزمٍ في اثر منهزم
وعاث افراده في الارض واعتطموا ... في بحر جهلٍ يموج الفحش ملتطم
أعلى منارَ الهدى في رأس بيعتهِ ... بالمرسلين فما قولي بنورهم
من قام يعمل يوماً ما يعلّمهُ ... فهو العظيم ألا فانعَمْ بهِ وَعِم
في السِفر عن دينهِ آيٌ مُنزّلةٌ ... رمزاً لبعثتهِ في الاعصُر الدُّهُم

انبأن فيه عن التكوين منذ بدا ... فما كلامك عن عادٍ وعن إرَمِ
تلك الذبائح شفَّت عن ذبيحته ... ولم يك العهد لولا عهدُهُ ولمِ
أفصحنَ عن مولد الفادي وسيرته ... وقوَّة السمرات السبع في الهممِ
وعن عشاء به ذكرى مشيئته ... وكم شربنا على ذكرى الحبيب كمِ
وعن جهادٍ وعن موتٍ وعن ظفرٍ ... وعن ظهور وعن برٍّ وعن كرمِ
اين اليهود وشملُ الملك في يدهم ... واين ملكهمُ من بعد خزيهمِ
دم المسيح عليهم حلَّ مذ سفكوا ... دَمَ المسيح فسَلْهم عن مسيحهمِ
تلك القيامة ما ان عاقها حجرٌ ... ولا جنودُ حفاظٍ من مليكهمِ
نَمَتْ بها حيَّة الإيمان مذ دُفنت ... ثلاثةً وارتوت من دمعه السَّجِمِ
يا ابن السماء وخير الشافعين بنا ... يا سيِّد الرسل يا مرآة ربهمِ
يا عارجاً في ذرى طابور مرتقياً ... كما نزلتَ على مرأى عيونهمِ
خلفت ديناً ورسلاً يكرزون بهِ ... في كل مُصطدَمٍ للهول مقتحمِ
قلتَ اذهبوا ها انا كالآب أرسلكم ... الى ذئاب بني الانسان كالنعمِ
فعلموهم كما علَّمتكم ابداً ... معنى الفضيلة ديناً غير مهتدمِ
وعمدوهم فمن يَقبل عمادَكمُ ... يسلَمْ ومن لم يُعمَّد فاءبالندمِ
اقسمتُ اني وان غادرتكم زمناً ... آتٍ بروح ابي فيكم لهديهمِ

*

لبَّيك انهمُ أُسدٌ متذوِّقةٌ ... يومَ الجهاد اذا حرُّ الوطيس حمِي
مشوا يجوبون رُحبَ الارض في عددٍ ... قلَّ الجيوش فما جيشٌ بملتئمِ
وقاتلوا الكفر لا سيف ولا ورقٌ ... ولا هجانٌ مقاذيفٌ بكل كمِي
واستقبلوا الموت في لُجِّ الدماء فما ... سيبٌ من اليمِّ او سيلٌ من العَرِمِ
همُ الجنود وابطال السلام فما ... تُعَدّ ابطالُنا في جنب بأسهمِ
عزَّت بهم سُنَّة الرحمن وافتخرت ... بكل فردٍ حميِّ الجأش محتدمِ
جادوا بانفسهم ضنّاً بأنفسنا ... فهم بأيدي العدى لحمٌ على وضَمِ
من كان حبُّ العدى في الدين شيمتهم ... تهاهمُ الحبُّ عن قتل لدينهمِ
تجرَّدوا عن حُلى الدنيا وزخرفها ... وضافروا الناس بالاموال والذممِ

ونصرةُ البائس المكدود غايتُهم ـ وخدمة الفقراء الاصل في الخدَمِ
واستبسلوا يلتقون الحتفَ حيث دَعوا الى المسيح بلا رعبٍ ولا سأَمِ
كم خانت النار مُصليها بحرقتهم وكم نَبا السيف عنهم يوم ملتحَمِ
طافوا البراري ووعثاء القفار وهم طرائد الدهر في بؤسٍ وفي عُدُمِ
يستنبتون كلامَ الله في مهجٍ نضيجةٍ بعصيرٍ من دمائهمِ
حتى انثنوا وانثنت تهتزُّ رأيتهم في كفّ مستأصلٍ للكفر مصطلمِ
اعلى الممالكِ اعلاها الصليبُ فلم تَتِمّ من الحقّ في عصر ولم تَتِمِ
روح الاخاء تمشّى في مفاصلها تمشّيَ الدم او صَوْبٍ من الديمِ
فألّفت بين ابناء البلاد على روح التقى وهو عهدٌ غير منفصمِ
واضرمت جذوة الايمان بينهمُ فكان منها احتكاكُ النار بالسلَمِ
تمحّصت عن لُباب العلم وانكشفت عن زبدة الدين وانصاحت عن القَشَمِ
لئن يكن دين عيسى بات منقسماً فعنصر الدين فذٌّ غير منقسمِ
شمسٌ تقسّمت الدنيا اشعّتها والشمسُ واحدة في ضوئها العممِ

*

اليك يا سيّد الابرار يا علَمَ الاخيار أرفع صوت البائس الوجِمِ
من لم يكن روحك القدسيُّ سنّته يُضَمْ ومَن شام برقاً منه لم يُضَمِ
يا آتياً في سحابٍ للحساب غداً رفقاً بقولك لا عطفاً بذي نعمِ
لك القضاء لك الميزان يومئذٍ على النبيّين مذ كانوا وصحبهمِ
من لي بنفس عن الاهواء تقلع بي في معزل عن خبيث النفس مجترمِ
هذي عشاريُّ أيامٍ وقد سلفَتْ فأجلِ الصُّنع فيها اليوم والترمِ
جدّي الى العنصر الاعلى لتمتزجي به وخلّي رغام الارض للرجمِ
ما انتِ الّا ملاكٌ هابط وصبا الى السما لا الى عجراء ذي سلَمِ
ودرّةٌ بدم الفادي مشنّنة فلم أبِعْها على غَبْنٍ ولم أسمِ
ما انتِ مِلكي وكلّي الآن في يدهِ نقيتُ في دمهِ من لوثة الحُسمِ
سيري بافعالك الغرّاء طائرةً فوق الجوادِ وخلّي الارض للأدمِ
يا نفس عودي الى مرقاك غانمةً وضمي المسيح فهذا خير مغتنمِ